

مفردات القرآن

ختم .

- الختم والطبع يقال على وجهين : مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير كنفش الخاتم والطابع .
والثاني : الأثر الحاصل عن النقش ويتجاوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه
اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو : { ختم ا□ على قلوبهم } [البقرة / 7]
{ ختم على سمعه وقلبه } [الجاثية / 23] وتارة في تحصيل أثر عن شيء
اعتبارا بالنقش الحاصل وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل : ختمت القرآن أي : انتهيت
إلى آخره فقوله : { ختم ا□ على قلوبهم } [البقرة / 7] وقوله تعالى : { قل أرأيتم إن
أخذ ا□ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم } [الأنعام / 46] إشارة إلى ما أجرى ا□ به
العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور - ولا يكون منه تلفت بوجه
إلى الحق - يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه وعلى
ذلك : { أولئك الذين طبع ا□ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم } [النحل / 108] وعلى هذا
النحو استعارة الإغفال في قوله D : { ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا } [الكهف / 28]
واستعارة الكن في قوله تعالى : { وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه } [الأنعام / 25]
واستعارة القساوة في قوله تعالى : { وجعلنا قلوبهم قاسية } [المائدة / 13] قال
الجبائي (أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه توفي سنة 303 هـ . انظر : ترجمته في
طبقات المفسرين 2 / 191) : يجعل ا□ ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على
كفرهم فلا يدعون لهم (وهذا أيضا قول القاضي عبد الجبار من المعتزلة وقول الحسن البصري
. انظر الرازي 2 / 51) وليس ذلك بشيء فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقا أن
يدركها أصحاب التشريح وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم
مستغنية عن الاستدلال . وقال بعضهم : ختمه شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن وقوله تعالى : {
اليوم نختم على أفواههم } [يس / 65] أي : نمنعهم من الكلام { وخاتم النبيين } [
الأحزاب / 40] لأنه ختم النبوة أي : تممها بمجيئه . وقوله عزوجل : { ختامه مسك } [
المطففين / 26] قيل : ما يختم به أي : يطبع وإنما معناه : منقطعه وخاتمة شربه أي :
سؤره في الطيب مسك وقول من قال يختم بالمسك (وهذا قول قتادة أخرجه عنه عبد الرزاق قال
: عاقبته مسك قوم يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك . راجع : الدر المنثور 8 / 451)
أي : يطبع فليس بشيء لأن الشراب يجب أن يطيب في نفسه فأما ختمه بالطيب فليس مما يفيد
ولا ينفعه طيب خاتمه ما لم يطب في نفسه

